الفصل الثالث

العدالة البيئية رؤية تاريخية

أولا: مقدمة الفصل الثالث.
ثانيـــا: العدالة البيئية فى مصر الفرعونية.
ثالثـــا: العدالة البيئية عند أفلاطون والحضارة اليونانية.
رابعـا: العدالة البيئية فى الحضارة الرومانية.
خامسا: العدالة البيئية فى الفكر الصينى.
سادسا: العدالة البيئية فى اليهودية.
سابعـا: العدالة البيئية فى المسيحية.
ثامنـــا: العدالة البيئية فى الإسلام.

الفصل الثالث

العدالة البيئية رؤية تاريخية

أولا: مقدمة

كان الإنسان فى بدايات نشأة الحياة يعيش فى قبائل ومجموعات صغيرة متفرقة، ويزاول الصيد والقنص فى الرعى وقليل من الزراعة[1] وكانت حياة الإنسان فى هذه العصور مضمونة بالجهد الخاص الذى يبذله فى تحصيل قوته والحفاظ على أملاكه، فإذا لم يكن ذى مقدرة كافية للقيام بهذا الجهد كان عرضه للفتاء[2] ومع تطور المجتمعات وزيادة أعداد البشر عرف نظام الأسر والملكية المشتركة، وأقيمت المدن وظهرت الملكية الخاصة، وانتعشت التجارة والأسواق مع الصناعات الخفيفة، ونشأت الدول وظهرت الطبقات سواء الحاكمة، أو طبقة الأشراف ورجال الدين، ورجال الأمن، وطبقة التجار، ثم الزراع وأرباب المهن، وبدأ الظلم وغياب العدالة بدرجة أو أخرى[3] وظهر الرق، وأخذت العدالة الاجتماعية تفقد كثيرا من أبعادها وظهرت الحاجة إليها، ففى العصور القديمة كانت بعض المحاكم أيام الرومان واليونان تقضى على بعض الناس أن يكونوا عبيدا لسواهم، لا لسبب سوى أنهم ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عن حقوقهم فى الحياة الكريمة، أو رد ديونهم، وللأسف نجد بعض الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو يدعون إلى الرق، فنجد على سبيل المثال مقولة أرسطو «فى العالم أناس مخلوقون للسيادة وآخرون مخلوقون للطاعة وحكمهم فى ذلك حكم الآلات الحية التى تساق للعمل» ويقول أفلاطون «إن الإله الذى جلبكم وضع فى طبيعة بعضكم ذهبا يمكنهم من أن يكونوا حكاما، فهؤلاء هم الأكثر احتراما، ووضع فى جبلة المساعدين فضة لأن يكونوا زراعا، وفى العبيد نحاسا وحديدا»[4] وهذا التشبيه بالآلة أو المعادن يتنافى مع تكريم المولى الكريم لبنى البشر، وليس لعربى فضلا على أعجمى إلا بالتقوى، ويخلق من ظهر العالم فاسد ومن ظهر الفاسد عالم، وهذا لا يمنع من أن فكرة العدالة ظلت

(١) (عبد الرحمن نصير، ١٩٦١م، ص ٧).
(٢) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٢١).
(٣) (عبد الرحمن نصير، ١٩٦١م، ٨).
(٤) (محمود الشرقاوى، ١٩٦١م، ص٢٢).

مطروحة فى هذه العصور لدى هؤلاء الفلاسـفة وغيرهم عبر التاريخ، وعلى سبيل المثال جاء هيسـيود فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وطالب بالعدالة الاجتماعية وإنصاف الطبقة الكادحة، وهاجم الملوك الظالمين، والأمراء المستبدين وقال «إن الحكام الذين يحكمون بالعدل تزدهر بلادهم، وتنتعش الحياة فيها، ويرعاها الإله ويسودها الرخاء والسلام، وكان هيسيود يرى أن تقدم المجتمع مرهون بتحقيق العدالة والإخلاص فى العمل[١] ثم ظهر بعد ذلك المفكر سولون الذى استلهم من هيسيود أفكار العدالة، وانتخب رئيسا لحكومة أثينا، وأصدر قانونا يسـمى «قانون إسقاط الأثقال عن الفقراء» وبمقتضاه ألغى الديون العامة والخاصة عن جميع الفقـراء عام ٥٩٤ قبل الميلاد، وتبع ذلك تحرير الرقيق وأعاد إليهم ملكية الأراضى، وألغى قانون تنازل المواطن عن حريته بسـبب الديون وغيرها من القوانين لتحقيق العدالة[٢]، كما يذكر التاريخ فى القرن الأول قبل الميلاد، قيام العبيد بثوره مسلحة تحت قيادة سبارتاكوس وهو عبد مقدونى رفض أن يبقى فى أسر العبودية، وجمع نحو مائة ألف من العبيد من بلاد شتى، وبرغم تمكن الرومان من هزيمة جيش سبارتاكوس فإن الآثار الناتجة عن ذلك أكدت حاجة العالم للعدالة[٣]، وجاءت الأديان السماوية الثلاث بمبادئ واضحة للعدالة وفى ضوء ما سـبق سنحاول إلقاء إطلاله سريعة على العدالة عبر التاريخ، وسنبدأ بالعصر الفرعونى، حيث الإشارات واضحة ومميزة لمفهوم العدالة من المنظور البيئى الشامل، ثم تتناول أهم آراء الفلاسفة عبر الحضارات التاريخية الآخرى، إلى أن نصل إلى العدالة فى الأديان السماوية الثـلاث، ومع ظهور الأديان السـماوية وتناولها لقضية العدالة، حسـم الأمر وخاصة مع ظهور الإسـلام واهتمامه ليس بقضية العدالة البيئية بوجه عام فقط، ولكن بتفاصيل دقيقة عن كيفية ووسـائل تحقيقها، وبعد ذلك تتضائل قيمة ما كتب عن العدالة البيئية أو حتى الاجتماعية، ويؤكد ذلك العالم «برتلمى سانت هيلير» فى مقدمته المسهبة للترجمة العربية لكتاب السياسة لأرسطو فيقول «من شيشرون إلى ميكيافيلى – لابد من اجتياز نحو خمسة عشـر قرنا دون أن نجد مؤلفا واحدا ذات قيمة عن السياسة أو العدالة» ويعتبر جاك روسو فى كتاباته عن العقد الاجتماعى هو من أهم الكتابات الجادة بعد ذلك[٤].

وبذلك يتوقف هذا الفصل عند العدالة البيئية فى الأديان السماوية الثلاث، على أن ينتقل الفصل التالى لمجهود العلماء فى العصر الحديث لقضية العدالة فى الفكر الاجتماعى والنظرية الاجتماعية.

(١) (محمد صقر، ١٩٦٢م، ص٢٠٥).
(٢) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٢٤).
(٣) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٣٦).
(٤) (جمال البنا، ١٩٩٦م، ص ص ٢ : ٥).

ثانيا: العدالة البيئية فى مصر الفرعونية:

إن فكـرة العدالة فى مصر الفرعونية قديمة قـدم الدولة الفرعونية، وظلت فى أول أمرها بمثابة أمر شـخصى خاص بالفرد للدلالة على الخلق العظيم فى الأسـرة والبيئة التى تحيط بالإنسـان مباشرة، ثم انتقلت بالتدريج إلى مكان أوسـع فصارت تمثل النظم وشئون البشر، بهدف المسـاواة بين جميع أفراد الشـعب دون تميز لأحد، ثم أصبحت قوة العدالة أقوى من سـلطات الملك نفسـه، واتخذت العدالة مكانا بارزا فى حكم ونصائح الحكماء المصريين منذ عصر الدولة القديمة وما بعدها، كما تصور لنا بعض النصوص، مثل قصة القروى الفصيح فكرة الإنسـان المصرى فى عصر الفراعنة، وتصوره العدالة، منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وبداية الألف الثانى، واسـتمرت هذه الفكرة خلال عصر الدولة الحديثة، وظهر ذلك خلال خطاب تكليف الوزير الأعظم بمهام وظيفته، حيث تشير إلى ضرورة اتباع القانون «عليك أن تطمئن لأن كل شـىء يجرى وفق القانون»[1] ويلاحظ هنا الربط بين الاطمئنان والعدل – هذا هو حال الوزير الأعظم فى مصر منذ آلاف السنين – فهل نعلم الآن هذه الحقيقة كمسئولين؟!

إن الدراسـة المتأنية لفكرة العدالة البيئية فى العصـر الفرعونى تؤكد أن الفراعنة كانوا على دراية واسـعة وعميقة بكثـير من عناصر ليس فقط العدالـة الاجتماعية ولكن بعناصر العدالة البيئية بمفهومها الواسـع، بل وتؤكد إيمانهم العميق بفكرة البعث والحياة الأخرى والثـواب والعقاب، وكل ذلك من خلال علاقته بالعدالة البيئية بمفهومها الواسـع، بداية من رعاية الفقراء والمحتاجين إلى حماية نهر النيل من التلوث والبيئة بوجه عام، وسـوف نحاول توضيح أهم الأفكار الأساسية فى العصر الفرعونى المرتبطة بالبيئة فى إيجاز كالتالى:

١ - العدالة هى الحق:

عـبر عـن العدالة فـى اللغة المصريـة القديمة بكلمـة «ماعة» وهى تفيـد معنى الحق والحقيقة والصدق والاستقامة والعدل[2] وأصبحت «ماعة» آلهة للعدالة والصدق والاستقامة، كما تضمنت «ماعت» كل هذه المعانى مجتمعة متضمنة الحكمة والأخلاقيات والشـرائع كما أصبحت تعنى «الكلام المنسجم مع الواقع»[3].

(١) (أحمد أمين – سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص١٤).
(٢) (Gardiner, 1982, 567).
(٣) (أحمد أمين – سوزان عباس، ص٤٥).

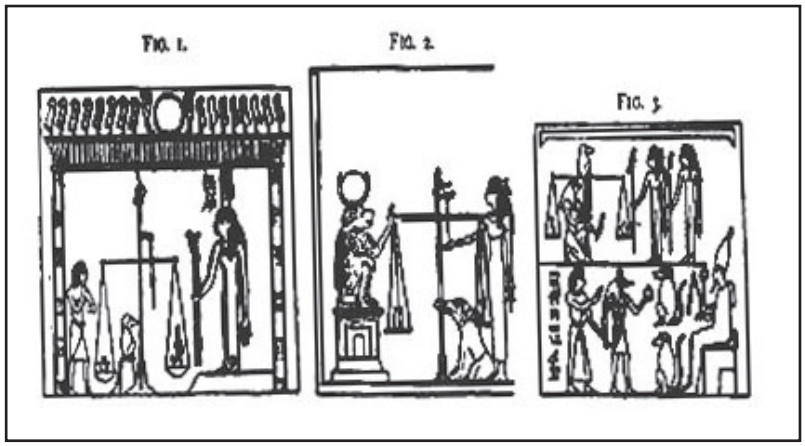

يلاحظ فى هذه الصورة ماعت إله العدالة فى العصر الفرعونى
مع وجود الميزان كأساس لمحاسبة الإنسان وتحقيق العدل

كما يلاحظ هنا وفى مواضع أخرى سوف يتكرر التقارب الواضح بين ديانة المصريين القديمة وبين الإسلام[1] حيث ربط القرآن الكريم بين الحق والعدل فى آيات كثيرة، وحيث أن العدل والحق اسمان من أسماء الله الحسنى، والله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب وأرسل الرسل وأقام السماوات والأرض بالحق، والحق أساس كل الأديان والرسالات السماوية والتى نعلم بعضها ولا نعلم البعض الآخر فى الأزمنة القديمة، ومن الآيات التى ورد بها الحق فى القرآن الكريم ما يأتى:

- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ ﴾ [سورة: الأنعام – الآية: ٦٢].
- قال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [سورة: طه – الآية: ١١٤].
- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ ﴾ [سورة: الحج – الآية: ٦].
- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [سورة: الحج – الآية: ٦٢].

(١) (جمال البنا، ص٤٦).

● قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [سورة: المؤمنون – الآية: ٧١].

● قال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة: المؤمنون – الآية: ١١٦].

● قال تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة: النور – الآية: ٢٥].

● قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [سورة: لقمان – الآية: ٣٠].

ثم يشير المولى الكريم إلى أن خلق الله هو الحق فى قوله تعالى:

● قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة: إبراهيم – الآية: ١٩].

● قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة: الحجر – الآية: ٨٥].

● قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة: العنكبوت – الآية: ٤٤].

● قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة: الروم – الآية: ٨].

● قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة: الأحقاف – الآية: ٣].

ثم يشير الله سبحانه وتعالى فى كتبه ورسله بالحق فى قوله تعالى:

● قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [سورة: البقرة – الآية: ٢١٣].

● قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة: النساء – الآية: ١٠٥].

- قال تعالى: ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة: ص – الآية: ٢٢].
- قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [سورة: ص – الآية: ٢٦].
- قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة: الأعراف – الآية: ٨].
- قال تعالى: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة: الزمر – الآية: ٧٥].

ثم يشير المولى:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة: البقرة – الآية: ١١٩].
- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [سورة: البقرة – الآية: ١٧٦].
- قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سورة: آل عمران – الآية: ٣].
- قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة: المائدة – الآية: ٤٨].
- قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة: الإسراء – الآية: ١٠٥].
- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة: فاطر – الآية: ٣١].
- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة: الزمر – الآية: ٢].
- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة: الفتح – الآية: ٢٨].

٢ - العدالة هى الميزان:

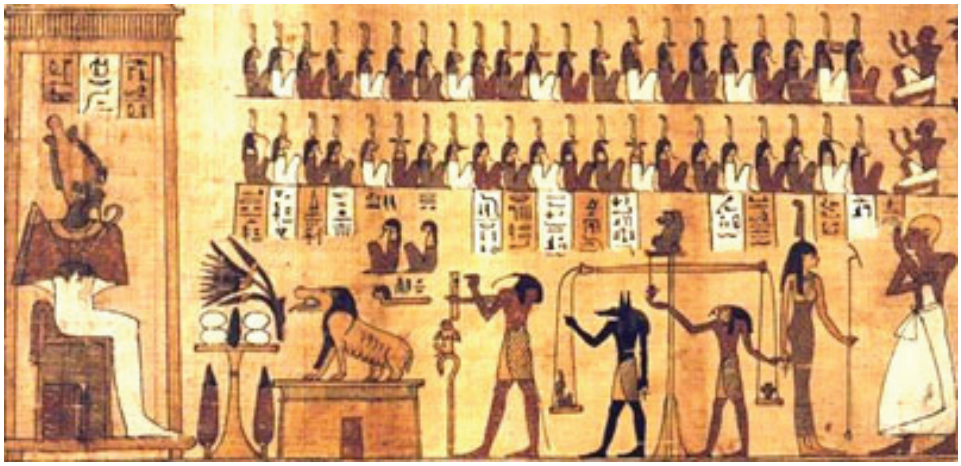

أوزير كقاض للموتى (الأسرة ١٨)
ويلاحظ هنا استخدام الميزان فى وزن أعمال الموتى

إن الإله أوزير هو إله العالم الآخر «إله الموتى» يراقب عملية «الحساب» من خلال ميزان دقيق لتقدير الحسنات والسيئات، وأمام الميزان يقف المتوفى والإله جعوتى «إله الحكمة والزمن والحساب» ومن خلفه تقف الإله ماعت وفوق رأسها ريشه العدل.

كانت من الأقوال المأثورة للمصرى القديم «لم أستعمل القسوة مع إنسان، لم أسرق، لم أقتل، لم أخسر الميزان، ولم أتصنع الصمم وقت سماع الحق والعدل، لم أزد فى ثروتى إلا بالحلال»[١].

وعند الحديث عن صفات الحاكم «لا تنطق كذبا لأنك عظيم، وأنت بذلك مسئول، ولا تكن خفيفا لأنك ذو وزن، ولا تتكلم بهتانا لأنك الموازين، ولا تحد لأنك الاستقامة، إنك والموازين سيان فإذا مالت فإنك تميل كذبا، إن لسانك هو المؤشر العمودى للميزان. وقلبك هو المثقال. وشفتاك هما ذراعاه»[٢].

وفى حديث آخر عن صفات الحاكم الصالح «الحاكم الصالح هو الذى يقيم العدل، فهو ميزان العدالة إذا اهتز أو مال أو كذب اضطربت الحياة كلها، لأن الحاكم هو ميزان الأرض وخيط الميزان الذى يحمل الثقل»[٣].

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٣٣).
(٢) (أحمد أمين – سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص٥٦).
(٣) (المرجع السابق، ص٥٥).

ولذلك كان الميزان رمز شائع فى الحياة المصرية القديمة للعدالة، حتى كانت كفتا الميزان تظهران فى النقوش بمثابة رمز مجسم لتصوير محاكمة كل روح فى العالم الآخر، لذلك ولأول مرة فى تاريخ البشرية وجدت الموازين فى البرديات. وقد بقيت صورتها وهى منصوبة فى يدى إلهة العدالة العمياء رمزا لذلك إلى يومنا هذا، ولم يكن الأمر قاصرا على تصوير الميزان بأكمله كرمز للعدالة، بل كانت أجزائه تستخدم كذلك لتشير إلى العدالة، فنجد العمود الذى يرتكز عليه الميزان، كما نجد عارضة الميزان الذى تدلى منه كفتاه، ونجد بوجه خاص خيط الميزان، ونجد الثقل المربوط فيه، وبذلك انتشر الميزان من مصر الفرعونية كرمز للعدالة فى المحاكم إلى العالم أجمع اليوم، هؤلاء أجدادنا الذين نقلوا للعالم الميزان كرمز للعدالة

ولذلك نجد المصرى القديم فى كلمات محددة يطالب الحاكم بالآتى «أقم العدل لرب العدل، وهو الذى أصبح عدله حقا، أنت يامن تمثل القلم والقرطاس والميزان، ابتعد عن عمل السوء. إن العدل عندما يكون قائما يكون حقيقة عدلا. لأن العدالة أبدية»[1].

وليس مصادفة أن يربط الإسلام والقرآن الكريم بين العدل والميزان فى عدة آيات منها ما يأتى قال تعالى:

- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [سورة: الشورى – الآية: ١٧] ويلاحظ فى هذه الآية ربط العدل بالميزان والحق معا.
- ويقول المولى الكريم: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [سورة: الأنعام – الآية: ١٥٢] وهذه الآية ترى أن العدل كالميزان الذى يعطى الحق لأصحابه.
- قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة: يونس – الآية: ٤٧] فالرسل يحكمون بالعدل فهم لا يظلمون.
- قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [سورة: هود – الآية: ٨٥] أمر من المولى الكريم بالعدل الذى شبهه بالميزان.
- قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [سورة: الأنبياء – الآية: ٤٧] وهذه الآية تربط مرة أخرى الميزان بالعدل ليوم القيامة.
- قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة: الرحمن – الآية: ٩] وهذا أمر آخر بالعدل وتشبيه جديد للعدل بالميزان.

(١) (أحمد أمين – سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص٥٧).

● قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [سورة: الحديد – الآية: ٢٥].

● قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [سورة: الإسراء – الآية: ٣٥] أمر آخر من المولى الكريم بالعدل وتشبيهه بالميزان.

● قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ [سورة: هود – الآية: ٨٥].

● قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ﴾ [سورة: الرحمن – الآية: ٧].

● قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧ ﴾ [سورة: الأنبياء – الآية: ٤٧].

● قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ ﴾ [سورة: المطففين – الآيات: ١ – ٥].

ولذلك يرى جمال البنا أن ديانة التوحيد عند الفراعنة هى أقرب الديانات للدين الإسلامى فالحياة الأخرى موجودة بوضوح فى كلاهما، وارتباط ذلك بالنعيم والجحيم ثم فكرة الميزان والعدل واضحة أيضا فى كلاهما(١).

وبالنسبة للبعث والجنة ينصح حكماء المصريين القدماء بالقول «انظر إلى الحياة كأنها ساعة فإن الإنسان يبعث ثانية بعد الموت، وتوضع أعماله بجانبه كالجبال. إن الخلود مثواه الآخره. والغبى من لا يكترث بذلك. أما الإنسان الذى يصل إلى الآخرة، دون أن يرتكب خطيئة فسوف يثاب ويمشى مرحا مثل الأبرار الخالدين(٢).

فهل بعد هذا شك فى أن أجدادنا قد وصلوا لقمة الحضارة والحكمة نتيجة للعدالة والإيمان السليم – وأن أجدادنا هم أول من نادوا بالتوحيد والصراط المستقيم؟

٣ - العدالة البيئية عند الفراعنة:

إن المصرى القديم نظر إلى العدالة على أنها تعنى توازن العالم كلة وتعايش جميع عناصره فى سلام وانسجام، مما يساعد على تماسك وحداته للمحافظة على كل المخلوقات، وهذا

(١) (جمال البنا، ١٩٩٩م، ص٤٦).
(٢) (أحمد أمين – سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص٥٣).

التفاعل يتضمن بدء من مكوناته الأساسية الكونية، والمجتمع الإنسانى نفسه والعلاقات الودية بين الأحياء، واحترام المعتقدات الدينية التى اشتقت منها العدالة الاجتماعية[1].

هذا تعريف شبه متكامل وأقرب للعدالة البيئية بمفهومها الحديث حيث إنه يتضمن ما يأتى:

(أ) نظرة شمولية تحليلية بمكوناتها الطبيعية أو الكونية والمجتمع الإنسانى.

(ب) هناك علاقات وتفاعلات متبادلة لمكونات البيئة بالمفهوم الشامل.

(ج) أنها تهدف للحفاظ على التوازن البيئى والإنسانى للحفاظ على كافة المخلوقات.

(د) أن مفهوم العدالة مشتق من المتغيرات الدينية القائمة.

وهذا التعريف جدير بالاحترام ويعكس مدى رقى وتقدم الفكر المصرى القديم لقضية العدالة البيئية من منظور شامل.

ولم يكتف المصريون القدماء بذلك، بل كانت ديانتهم تقول لهم على لسان الإله: "لقد صنعت مياه الفيضان العظيمة لكى يكون للفقير فيها حق كالعظيم" وكان المصرى القديم يقسم «لم ألوث النيل طوال حياتى»، «لقد صنعت الرياح الأربعة لكى يتنفس منها كل إنسان كزميله طوال حياته»[2].

هذه هى المساواة بين الفقير والعظيم فى أهم الموارد البيئية مثل المياه، أليست هذه عدالة بيئية بمفهومها الشامل، حرص عليها المصرى القديم وكان حريصا على أن لا يلوث نهر النيل ويعطى الفقير حقه لأنه يعلم أنها حقوق بشرية فى المقام الأول.

٤- إشباع الحاجات الأساسية للفقراء:

لقد كان ملوك مصر فى عصر الفراعنة يفتخرون بأنهم نشروا لواء العدل، واهتموا بإشباع حاجات الفقراء، والأرامل والأيتام، غير تاركين فرد واحد يئن تحت أثقال الحاجة، وكان هؤلاء الحكام يقدمون حسابهم إلى الآلهة والشعب بقولهم: «لقد أعطيت الأرامل قبل ذات البعل، وأعطيت الفقير قبل العظيم، ولم أميز الرجل العظيم فوق الفقير بشيء، وحين يقبل الفيضان لم أجمع المتأخر من الضرائب عن السنين المجدبة، ولم أستعمل القسوة مع إنسان، ولم أخسر الميزان»[3].

وبالنظر للنظام السياسى كانت من أهم النصائح التى يوجهها الحاكم إلى رجال الدولة قوله بالنص «عظم من شأن أشرافك لينفذوا قوانينك، لأنهم إذا لم يكونوا أهل يسر فإنهم

(١) (أحمد أمين – سوزان عباس، ٢٠٠٨م، ص١٩).

(٢) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٣٣).

(٣) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ص ٢٣ – ٣٣).

لا يقومون العدل فى إدارتهم للأمور، لأن الرجل الغنى فى بيته لا يتحيز فى حكمه. لأنه صاحب عقار وليس محتاج، ولكن الرجل الفقير وهو فى وظيفته لا يتكلم حسب العدالة، لأن الرجل الذى يقول ليت لى لن يكون محايدا. بل ينحاز إلى الشخص الذى يحمل فى يده الهدايا – فالعظيم من كان رجاله عظماء».

وجاء فى نصائح حنيتى «أقم العدل لتوطد به مكانتك فوق الأرض، هدئ من روع الباكى، ولا تظلم الأرملة، ولا تحرم إنسانا من ثروة أبيه، ولا تطرد موظفا من عمله»[1].

إن الحاكم هو أبو اليتيم وزوج الأرملة وأخ من هجره أهله ودثار من لا أم له، فالحاكم هو نصير المحتاجين والضعفاء[2].

٥ - غياب العدالة سبب قيام الثورات:

كان لغياب العدالة السبب الرئيسى فى قيام الثورات الاجتماعية الأولى خلال عصر الدولة الوسطى، فنجد الملوك وقد عادوا إلى رحاب العدالة من جديد، ولذلك يصف بعض الباحثين هذا العصر بأنه عهد القوانين العادلة السارية على الملك والشعب، وأصبحت للقوانين بعد هذه الثورة الكلمة العليا فى إدارة شئون البلاد، وسادت المساواة بين الجميع واستمرت هذه الروح خلال عصر الدولة الحديثة[3].

واهتم النظام السياسى الداخلى الجديد بالمساواة الاجتماعية والسياسية بين جميع أفراد الشعب فى تقلد الوظائف، لا فرق بين النبلاء وعامة الشعب، فلا تمييز بين إنسان وآخر إلا بكفاءته، واهتم النظام الجديد بالشباب لتكوين جيل جديد من الحكام الشباب، ولذلك كانت للعدالة الدور الفعال فى قيام أول دولة مركزية فى العالم ذات أبعاد تفوق المحلية، فكانت العدالة هى الفكرة التى جمعت سكان وادى النيل تحت سيادة واحدة[4].

كل ما سبق كان جزءا بسيطا لإعطاء فكرة واضحة عن العدالة البيئية فى عهد مصر الفرعونية، وإن كان هذا موضوع يحتاج لمؤلف منفصل فيما بعد، ولكن واضح مدى تقدم مصر الفرعونية وتمسكها بفكر العدالة البيئية من منظور شامل، يتلاقى فى أجزاء كبيرة مع الدين الإسلامى حتى فى المفردات اللغوية، مثل كلمة الميزان كرمز للعدالة وكلمة الحق

(١) (أحمد أمين – سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص٥٢).
(٢) (أحمد أمين – يوزان عباس، ٢٠٠١م، ص٥٥).
(٣) (أحمد أمين – سوزان عباس، ٢٠٠١م، ص ص ٦٠–٦١).
(٤) (Bergman, 1972, p 102).

والاهتمام بكل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والفيزيقية والمساواة فى الحقوق والواجبات ونشر خدمات المياه والمرافق لجميع المواطنين، ومن هنا فعلينا أن نفتخر جميعا أن أجدادنا هم الفراعنة ويالیت كل مصرى يفهم ويعى ذلك.

ثالثا: العدالة البيئية عند أفلاطون والحضارة اليونانية:

تعد جمهورية أفلاطون من أقدم وأشمل معالجات العدالة الاجتماعية فى الفكر الأوربى بوجه عام، حيث تناول أفلاطون مفهوم العدل من منظور واسع، هو الدولة أو كما قال رؤية العدل بحروف كبيرة، ويمكن إيجاز أهم أفكار العدالة فى جمهورية أفلاطون فى الآتى:

١ – إن التركيب الطبيعى للإنسان من وجهة نظر أفلاطون أنه يتكون من نفس وبدن، والنفس تتضمن ثلاث قوى رئيسية وهى:

(أ) القوة العاقلة ويمثلها العقل ومكانها الرأس.

(ب) القوة الغضبية أو الإرادة الشجاعة ومكانها القلب.

(ج) القوة الشهوانية والغذائية، وتمثل الشهوة ومكانها بين الصدر والعجز[١].

والعقل هو أهم هذه القوى جميعا وحين يسيطر على الإرادة والشهوة معا تصبح النفس الطيبة شفافة قادرة على المعرفة والتذكر، ويشبه أفلاطون النفس البشرية بالعربة التى يجرها جوادان مجنحان أحدهما مندفع متهور وهو الشهوة والآخر هادئ وبطىء وهو الروح والسائق هو العقل وذكر أن العربة سوف تسير إلى الأمام وبانتظام إذا تحكم العقل فى زمام القيادة فيكبح جماح الجواد المشاكس ليتوافق فى سيره مع الجواد البطىء[٢] والعدالة تكون مع انسجام الأجزاء الثلاثة المكونة للنفس البشرية وهى العقل والشجاعة والشهوة فهنا يكون الفرد منسجما وصحيحا وعادلا وعدم الاتفاق بين هذه الأجزاء الثلاثة يترتب عليه الظلم وبالمقابل تكون المدينة عادلة إذا كان الأفراد الذين تتألف منهم عادلين أيضا[٣] ولذلك يرى أفلاطون أن العدالة تؤدى للسعادة فالعادل سعيد لأن نفسه غير موزعة ومستقرة[٤] ولذلك يؤكد أفلاطون أن العدل مصدر إلهى وأن الظلم أفدح الشرور[٥].

(١) (أفلاطون، ١٩٦١م، ص٣٩).
(٢) (أفلاطون، ١٩٦٨، ص١٤٤).
(٣) (أفلاطون، ١٩٦١، ص٢٠).
(٤) (المرجع السابق، ص١٩).
(٥) (المرجع السابق، ص٣٥).

ويقسم أفلاطون فضائل النفس إلى ثلاثة أقسام وهى الحكمة كفضيلة للعقل والشجاعة كفضيلة للإرادة والعفة كفضيلة للشهوة ونتيجة التوازن بين هذه الفضائل تكون العدالة وهذه الفضائل الأربع هى أساس الحكم والجمهورية[١].

٢ – إن فكرة العدالة يسعى إليها الإنسان ليس حبا فيها أو لذاتها، بل لأنه يدرك أهميتها لنجاح المجتمع، ومغبة غياب العدالة، وآثارها السلبية أيضا كبيرة على المجتمع ،فبدون العدالة لا تستقيم حياة الأفراد أو المجتمع أو الدولة.

٣ – إن الإنسان بطبعه وبفطرته يميل للتعدى والظلم أكثر من ميله إلى العدالة، ويشبه «شوبنهور» العدالة بجماعة من القنافذ اقتربت بعضها من بعض طلبا للدفء، فكان لابد أن تحذ أشواك القنفذ الواحد جسم جاره، ولكن إذا جعلت لكل شوكة غمدا من اللباد أمكنها أن تقترب بعضها من بعض من غير أن تخذ أحدها الآخر، وغمد اللباد هو بمثابة القوانين التى يظن أن العدالة مستقرة فيها، وهى استنت لتمنع الاحتكاك الذى يحدثه اجتماع الناس بشهواتهم ورغباتهم[٢].

٤ – ويرى أفلاطون أنه لا يجوز أن يترك الفرد يجمع من الثروة ما يريد، فكنز الأموال يجب أن لا يتعدى مبلغا معينا، حدده أفلاطون بأربعة أمثال ما يملكه الفرد العادى، وإذا زادت ثروة أى فرد عن هذا الحد، وجب أن يتنازل عنها إلى الدولة[٣].

٥ – العدالة فى جمهورية أفلاطون هى أن يرد للإنسان حقه، وطبيعة هذا الحق تتوقف على طبيعة العلاقة بين المتعاملين، وعليه جعل العدالة هى نفع الأصحاب ومضرة الأعداء الذين هم أعداء الأمانة والإصلاح، والأصحاب هم الأمناء على الحق.

٦ – وبناء على ما سبق فإن الإنسان العادل حكيم وصالح، والمتعدى شرير وجاهل، ولذلك فالعدالة تؤدى إلى الاتساق والوفاق، بينما الظلم والتعدى يؤدى للنزاع والانقسام[٤].

٧ – هناك كثير من الأفراد بطبيعتهم لا يميلون للعدالة باختيارهم، بل مرغمين، لأنهم يروا أن العدل لا يشبع كل مطالبم واحتياجاتهم، لذلك يتعدون فيما يستطيعون ذلك، فالظلم غريزة بشرية، والعدالة تحتاج إلى قوة تفرضها.

---

(١) (أفلاطون، ١٩٦١م، ص ص ١٤٦ : ١٤٩).

(٢) (جمال البنا، ١٩٩٥م، ص٧).

(٣) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٤٨).

(٤) (جمال البناء، ١٩٩٥م، ص٩).

٨ – إن العدالة فى حاجة إلى مساندة قوة أعظم من الإنسان، وهى قوى الآلهة، فيقول أفلاطون أن العدالة هى المسلك الأمثل للإنسان حتى لو منح خاتم سليمان، وأن كل الحجج والمبررات للعدالة تتضاءل أمام السعادة الأخروية التى تمنحها الآلهة للعادل، فرضا الله أعظم مساندة للعادلين وهى الغاية النهائية للعدالة.

٩ – يرى أفلاطون أن الرق ظاهرة طبيعية فى الحياة البشرية فالحكام طبقة من ذهب، والمساعدين طبقة من فضة والعبيد طبقة من نحاس أو حديد، ويرى أن العبيد يعجزون عن فهم وتعقل الأمور وفهم مبرراتها، وأن العبد لا عقل له، لذلك فهو يحتاج إلى موجه له عقل[١] ولذلك يرى أفلاطون أن الابن يجب أن يعمل فى مهنة أبيه سواء كان نجارا أو بائعا أو خلافه[٢].

تعليق على فكرة العدالة عند أفلاطون:

١ – عند الرجوع لتاريخ كتابات أفلاطون قبل ظهور الأديان الثلاثة، فإن كتابات أفلاطون عن العدالة تعد رائدة وجهدا كبيرا أنارت الطريق للعدالة فى العديد من الجوانب منها ما يلى:

(أ) أن الإنسان يسعى للعدالة ليست كغاية، بل وسيلة لنجاح المجتمع وتقدمه.

(ب) أن الإنسان بطبعه يميل للظلم والتعدى لإشباع رغباته وأطماعه، وأن العدالة تحتاج إلى قوة تفرضها.

(ج) أنه يجب أن يكون هناك حدود للثروة، وما يشبه حد أقصى للدخل، وما يزيد عن ذلك يعد حقا للمجتمع.

(د) أن العدالة تؤدى إلى الاتساق والاتفاق، بينما الظلم يؤدى للنزاع والانقسام.

(هـ) أن العدالة فى حاجة قوية إلى رضا الله تعالى، لأن رضا الله أعظم مساندة للعادلين وهى الغاية النهائية من العدالة.

٢ – ويؤخذ على أفكار أفلاطون تبريره لوجود الرق والعبيد، وأن هناك طبقات من ذهب وفضة وحديد، وهذا تفسير غير مقنع ويبرر الظلم بل وينادى بتوريثه للأبناء.

العدالة فى الفكر اليونانى بعد أفلاطون:

الحضارة اليونانية شهدت العديد من الفلاسفة الذين لهم سجل واضح فى التاريخ وسنحاول سريعا المرور بأشهر وأكبر هؤلاء الفلاسفة بعد أفلاطون من حيث تناولهم لقضية العدالة وكان من هؤلاء ما يأتى:

(١) (أفلاطون، ١٩٦١م، ص٦٥).

(٢) (أفلاطون، ١٩٦١م، ص٧٧).

١ - أرسطو:

هو تلميذ أفلاطون النابغ، وله كتابه الشـهير عن السياسـة وتنـاول فى كتاباته قضية العدالة من زوايا وأراء مختلفة، يمكن إيجاز بعضها فى الآتى:

- يرى أرسـطو: أن أفضل الدول ما عاش أفرادها مشـتركين اشـتراكا فعليا فى إدارة شئون بلادهم متى استطاعوا إلى ذلك سبيلا.
- وتحدث عن أنشطة المجتمع الرئيسية، وأن هناك ثلاثة أنواع من هذه الأنشطة وهى تتوافر بعضها أو كلها حسب المجتمع، وتشمل الآتى:
  - أنشطة الصيد والقنص.
  - أنشطة التجارة والربح.
  - أنشطة الصناعات المختلفة.
  - ويزداد التفاوت بين الطبقات مع أنشطة التجارة، وأكثر فى الأنشطة الصناعية[١].
- ندد أرسطو بالطغاة والظالمين وأن الظلم يرتبط بالتخلف والجهل، ويؤدى إلى الفشل والانهيار.
- ولكن أرسـطو يرى أن الرق شرعى وطبيعى، والعبد خلق ليطيع أسياده، وأن العبد مثل الآلة التى تستخدم فى العمل، بل إنه يبرر استخدام القسوة مع العبد من أجل إنجاز الأعمال المطلوبة[٢].
- وقد انتقد أرسـطو شـيوعية الأموال والنسـاء والأطفال التى تحدث عنها أفلاطون وعارض ذلك بوضوح وأن هذا ليس عدلا.
- شدد أرسطو أرسطو على أهمية القانون واحترام القانون وأهميته، وضرورة إطاعة الأفراد للقوانين التى تضعها الدولة، سواء صادفت هذه القوانين هوى فى نفوس الأفراد أم لا.
- وشدد على أن الإنسان مدنى بطبعه وفى حاجة لدولة قوية تقوم على الحق والعدل، وأن وظيفة الدولة الأساسية هى تطبيق الحق والعدل بشكل يناسب حاجات الأفراد المختلفة.
- نادى أرسـطو بأهمية الملكية العامة والتوسع فيها بالنسبة لجزء كبير من الأراضى، ونادى بالمساواة إلى حد استحسان نظام الأكل على موائد عامة.

---

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٤٨).

(٢) (جمال البنا، ١٩٩٥م، ص١٥).

● وشـدد أرسـطو على أهمية ضبط عدد سـكان كل دولة، حتى لا يزداد الضغط على الموارد المحدودة، ويزداد الفقر والجوع والظلم.

● ويـرى أرسـطو ضرورة خضوع الفرد للدولة، وقال بـأن الفرد يجب أن يكون تحت تصرف إدارة الحكومة، وكثيرا ما كان يقيس فضيلة الإنسـان بمدى ما يقدمه لحكومته من خدمـات، ويرى ضـرورة تضحية الفرد فى صالح المنفعة العامـة، ويقول إن محاولة الفرد لإشباع حاجاته دفعته إلى الاجتماع، ليكون للأفراد من وراء هذا الاجتماع منفعة مادية.

● ويرى أرسطو أن الفرد وحده بدون الدولة ما هو إلا حيوان، وإنما يتميز الفرد بالإجتماع داخل الدولة، وأنه على الدولة توفير أعلى درجات السـعادة لمجموعة أفرادها، وهذا لن يتحقق إلا إذا تمتع المجتمع بالعدل، وتمتع الفرد بقسط وافر من الحرية والاستقلال[1].

● ولكن أرسطو لا يرى أن هناك عدالة بين الجنسين، لأنه يرى أن العلاقة بين الزوج والزوجة، مثل العلاقة بين السيد والعبد، وأن الرجل هو السيد، وأن المرأة مرادف للعبيد، مما يخل بالعدالة بين الجنسين وكان أرسطو يرى أن اليونانيين متميزون كبشر، وهنا تبدو بذرة العنصرية[2].

٢ - هيسيود:

● ظهر الشـاعر هيسـيود فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وهو من أوائل الذين دافعوا عن الطبقة الكادحة، وهاجم الملوك المسـتبدين، والأمراء المرتشين، ولفت نظرهم إلى ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية.

● وأكد هيسـيود على الازدهار والتقدم لأى مجتمع يرتبط بالحاكم العادل، فيقول «إن الحكام الذين يحكمون بالعدل، تزدهر بلادهم وتنتعش الحياة فيها، ويرعاها الإله ويسودها الرخاء والسلام».

● ويؤكد بأن رقى المجتمع يقوم على مبدأين وهما:

- تطبيق العدالة المطلقة.
- الإخلاص فى العمل[3].

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٤٩).
(٢) (جمال البنا، ١٩٩٥م، ص ص١٦ – ١٩).
(٣) (محمد صقر خفاجة، ١٩٦٢م، ص٢٠٥).

● وأكد هيسيود على أن العمل حق وواجب وشرف، ويجب على الإنسان أن يعمل بجد واجتهاد قدر الإستطاعة، والخير للجميع فى العمل الجاد ليلا ونهارا، وألا يكون بعضهم كذكر النحل الخامل الذى يستنفد ما يجمع النحل الكادح من ثمر، بل يجب على أبناء الأمة جميعا أن يتباروا فى بذل الجهد والعمل بإخلاص لأن الفقر يلازم الخاملين، وأن الثراء نصيب العاملين، وأن العمل ليس عارا وإنما العار أن يكون المرء عاطلا ليعيش على أكتاف الآخرين، ولقد أثرت هذه الآراء ليس فى شعب اليونان فحسب بل فى الحكام والمشرعين، والذين سعوا بعد ذلك إلى تطبيق أفكار هيسيود، وترجمتها إلى واقع، ومن أشهر المفكرين «سولون» والذى سيأتى الحديث عنه بعد ذلك[1].

٣ - سولون:

جاء سولون وسط اضطرابات كبيرة كادت تقضى على أثينا، فقد كان الخلاف على أشده بين الطبقة الأرستقراطية والشعب، وكان الحكم فى يد حفنة من النبلاء الذين كانوا يستبيحون الأرض والفقراء، ولذلك تم انتخاب سولون عام ٥٩٤ قبل الميلاد، وخطى ببلاده خطوات كبيرة نحو العدالة الاجتماعية كان أهمها ما يلى:

● إصدار قانون (إسقاط الأثقال) وهو القانون الذى ألغى جميع الديون العامة والخاصة عن الفقراء، وبذلك أسقط هذا القانون حملا ثقيلا عن أعناق الفقراء[2].

● تحرير الفلاحين بإعادة ملكية الأراضى للفلاحين، والتى كانت انتزعت منهم بالقوة فى الماضى.

● إصدار عدة قوانين أخرى لحماية الزراعة والإنتاج القومى من المنافسة الخارجية، وتحسين حال الزراعة والفلاحين.

● ألغى الرق بسبب الديون، واعتبر تنازل المواطن عن حريته بسبب الديون عملا باطلا وغير قانونى.

● وأعطى الشعب بجميع أبنائه حق التقاضى عند شعوره بأى ظلم، وحق الاستئناف أمام مجالس الحكم، مما يكفل لجميع أبناء الوطن العدالة فى المعاملة والمساواة.

---

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦، ص ص ٢٢ – ٢٤).

(٢) (جمال البنا، ١٩٩٥، ص١٦).

● وساعد سولون فى نشر الحرية الفردية كركيزة أساسية لتحقيق العدالة داخل المجتمع، مما يشعر كل مواطن بمسئوليته فى نشر العدالة والحرية معا.

● ومما لا شك فيه أن سولون نجح فى وضع نواة الحكم الديمقراطى وإقرار سيادة الشعب ورفع الظلم الاجتماعى عن الطبقات الكادحة[1].

ولقد سادت العدالة الاجتماعية اليونان فترة من الزمن، ولكن الديمقراطية لم تدم طويلا بعد سولون، وخاصة بعد الحروب الطويلة التى استمرت من القرن الخامس إلى القرن الثانى قبل الميلاد حيث انهارت فيها أسس المساواة والحرية والديمقراطية[2].

تعليق:

ويتميز فكر أرسطو بتركيزه على أهمية احترام الأفراد للقانون كركيزة للعدالة الاجتماعية، وأن العدالة هى وظيفة الدولة والحاكم، وأهمية خضوع الفرد للدولة، وأن الإنسان تقاس فضيلته بما يقدمه لدولته من خدمات، وأن الفرد بدون الدولة ليس له قيمة، ولكن يؤخذ على أفكار أرسطو اعترافه بشرعية الرق ونظرته للرجل على أنه سيد والمرأة مرادف للعبيد وهذا انحراف كبير عن فكرة العدالة.

ويتميز فكر هيسيود بأنه ربط تقدم المجتمعات بتطبيق العدالة المطلقة، والإخلاص والتفانى فى العمل، وأن العدل مسئولية الحاكم، وأن العمل حق وواجب وشرف.

ويتميز سولون بأنه طبق أفكاره فى العدالة على أرض الواقع، وحقق عدة إنجازات حقيقية فى مجال العدالة، أهمها إصدار قانون إسقاط الأثقال الذى ألغى ديون الفقراء وقانون إلغاء الرق، وأعطى الشعب بجميع أبنائه حق التقاضى عند شعوره بالظلم، بجانب قوانين حماية الزراعة والناتج القومى.

رابعا: العدالة البيئية فى الحضارة الرومانية:

انتشرت الحضارة الرومانية ولاسيما فى فترة التشكيل من القرن الثانى قبل الميلاد إلى القرن الثالث بعد الميلاد، حيث امتدت الإمبراطورية الرومانية إلى بلاد شتى فى أوربا وأسيا وأفريقيا، ويمكن تلخيص أهم ما يختص بالعدالة فى الآتى:

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ص ٢٤-٢٦).
(٢) (محمد صقر، ١٩٦٢م، ٢٠٧).

١ – كان المجتمع الرومانى ينقسم إلى طبقتين، وهما الطبقة الأرستقراطية تعيش فى بذخ وترف وتنعم بكل الخيرات، والشعب ويمثل الطبقة المحرومة من معظم ضروريات الحياة، فقد كان للطبقة الأرستقراطية وحدها القدرة على شراء الإقطاعيات من الأملاك العامة والأميرية، وتسابق أعضاء هذه الطبقة فى الشراء والإمتلاك، ثم لجأت بعد ذلك إلى شراء الإقطاعيات الصغيرة من صغار المزارعين، وانتهى الحال إلى تركز الملكية فى يد حفنة قليلة من الملاك، يقدرها البعض فى روما بنحو ألفى شخص[١]، وكانت الطبقات الفقيرة تلجأ إلى الاقتراض من الأغنياء بربا فاحش، وعادة تعجز عن السداد، فيصبحوا كالأرقاء تماما، ويعملون عند الأغنياء كالرقيق فى المزارع أو المدن، مما أدى إلى هروبهم من هذه المعاملة، وزاد النزاع مع زيادة الفجوة بين الأغنياء والفقراء، فشهدت البلاد اضطرابات واسعة عام ٤٩٤ قبل الميلاد، حيث اجتمع الآلاف من الكادحين والمظلومين، وانسحبوا من معركة حربية كانت قائمة فى هذا الوقت، واشترطوا لعودتهم إلى الميدان إسقاط الديون التى كانت عليهم، كما طالبوا ببعض الضمانات السياسية، وصاح تيبريوس بالنيابة عن هؤلاء المظلومين قائلا «نحن نضحى بدمائنا، ولا نملك غير الهواء الذى نستنشقه، فلا سقف يظلنا، ولا مأوى ثابت يأوينا، بل نهيم على وجوهنا فى الأرض نحن ونسائنا وأطفالنا، ولا نملك حفنة من التراب، وغيرنا يملك كل شىء ولا يحارب»[٢].

٢ – ويذكر التاريخ أيضا فى القرن الأول قبل الميلاد ثورة العبيد المسلحة بقيادة سبارتاكوس من أجل المطالبة بالعدالة الاجتماعية ورفع الظلم، وكان سبارتاكوس عبدا مقدونيا تعلم المصارعة فى مدرسة للعبيد، وفر مع بعض العبيد الآخرين كانوا يتعلمون معه، وكانوا خليطا من الزنج والبيض، من أسبانيا والسودان وسوريا ومقدونيا وألمانيا وغيرها من البلاد، وحضهم سبارتاكوس على الثورة ثم التف حوله من روما والمدن المجاورة نحو مائة ألف عبد، وجعلوا من قمة بركان فيزون مركزا لقيادتهم، وتمكن الرومان من هزيمتهم، وقاموا بصلب نحو ستة آلاف من العبيد، وبرغم ذلك فإن هذه الثورات والاحتجاجات أثرت كثيرا فى فكر العلماء والفلاسفة بعد ذلك.

٣ – ظهر بعض العلماء الذين ينادون بالعدالة الاجتماعية وإنصاف الفقراء، ورفع الظلم عنهم، ومنهم جراكوس الذى طالب بأخذ الأراضى من الأغنياء نظير تعويض من الدولة، وتوزيعها على الفقراء، بالإضافة لكل الأراضى التى أخذت ظلما من أصحابها،

(١) (على عبد الواحد وافى – حسن سلطان، ١٩٦٤م، ص١٠٨).
(٢) (ألبير بابيه، تاريخ إعلان حقوق الإنسان، ص٣١).

ثم إعادتها إليهم مرة أخرى، ولكن كان رد الفعل على هذه المطالب اغتياله عام ١٣٣ قبل الميلاد، ثم تبنى هذه المطالب أخاه كارلوس ولكنه اغتيل هو الآخر عام ١٢١ قبل الميلاد، ثم بدأ بعدهما كانيلينا واغتيل أيضا عام ٦١ قبل الميلاد[١].

٤ – كما ظهر أوليبانوس الذى وضع تعريفا للعدالة بأنها إرادة دائمة لإيفاء كل ذى حق حقه، وهذا التعريف يلفت النظر إلى أهمية وجود إرادة دائمة لتحقيق العدالة، ويضيف أوليبانوس أن العدالة ترتبط بثلاث حقوق هى:

- أن نعيش خيرين لأنفسنا ومن حولنا.
- أن لا نضير أحد بتصرفاتنا وسلوكنا.
- أن يؤتى كل ذى حق حقه.

٥ – كما ظهر شيشرون الذى توفى عام ٤٣ قبل الميلاد، وكان متأثرا بفكر أفلاطون خاصة فيما يتعلق بالعدالة، وهناك مفكرين آخرين مثل فولوبيوس، ومثل أبيكنتس الفيلسوف الرواقى، وبفضل كل هؤلاء، والأحداث السابقة، اقتربت الفلسفة السياسية للرومان إلى العدالة أكثر من الحضارة اليونانية، هذا برغم العنصرية الواضحة فى العصر الرومانى، حيث يرى الرومان أنهم سادة العالم أجمع، وأن الرومان خلقوا ليكونوا ملوكا[٢].

تعليق:

يلاحظ أن الحضارة الرومانية عانت أيضا من غياب العدالة لفترات طويلة، مما أدى لثورات مثل تيبريوس وسبارتكوس مما مهد بعد ذلك لخطوات فعالة فى مجال العدالة قادها جراكوس وغيره من العلماء.

خامسا: العدالة البيئية فى الفكر الصينى:

وللحضارة الصينية بالطبع تراثها الحضارى فى البناء والعدالة والتنمية، وهناك تجارب متعددة فى هذا المجال، منها ما قام به الإمبراطور «وو– دي» قبل الميلاد بنحو قرن، عندما جعل كل الثروات الطبيعية ملكا للأمة، ليمنع الأفراد من امتلاك ثروات الجبال والبحار، واحتكرتها الدولة مع احتكار الملح والحديد، وسعى الإمبراطور «وو – دى» إلى منع الوسطاء

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ص٣٥–٣٦).
(٢) (جمال البنا، ١٩٩٦م، ص ص١٩–٢١).

والمضاربين فأنشأ نظاما قوميا للنقل وتبادل السلع وتحكم الدولة فى الأسعار، فكانت الدولة تخزن ما زاد من السلع عن حاجة الأهالى وتنزلها الأسواق، حينما تزداد أسعارها، كما كانت تتدخل الدولة أيضا لشراء المحاصيل إذا انخفضت أسعارها، حتى لا تنهار الأسعار ويخسر الجميع، وكان هناك نظاما عادلا للضرائب، حيث يسجل أولا دخل كل فرد فى المجتمع فى سجلات حكومية لمنع التهرب الضريبى، ثم قامت حركة مضادة من كبار الملاك، وحدثت انتكاسة فى العدالة الاجتماعية لفترة وجيزة، ولكن بعد نحو ثمانين عاما جلس على عرش الصين الإمبراطور «وانج – مانج»، وقام بتأميم الأراضى الزراعية وتوزيعها على الفلاحين، ثم أصدر قانونا بمنع بيع الأراضى الزراعية، حتى لا تعود الإقطاعيات مرة أخرى، وتبقى الأرض للأبناء والأحفاد، واستمر المجتمع الصينى عقودا من العدالة، ثم انتكاسة حتى جاءت الثورة الشيوعية[1].

ويلاحظ تكرار التجارب السابقة أيضا فى الحضارة الصينية، حيث إن الظلم صناعة بشرية تتكرر شرقا وغربا وفى كل مكان، والتمادى فى هذا الظلم وغياب العدالة، يؤدى لثورات متتالية تنجح أحيانا وتسود العدالة ثم تنتكس مرة أخرى، وهكذا يعلمنا التاريخ أن العدالة حق يجب أن يؤخذ بالمطالبة المستمرة، وباليقظة وبإرادة الأمة وليس منحة ننتظرها من الحكام.

سادسا: العدالة البيئية فى اليهودية:

١ – لقد سجل موسى عليه السلام – بوصية من الله تعالى نصوص أول شريعة قضائية مكتوبة (حز ٢١ : ١) وتم اختيار ٧٠ قاضيا رسميا، وعلى أن يتولى موسى – عليه الصلاة والسلام – الحكم فى القضايا الكبرى، وحددت الشريعة شروط دعاوى التقاضى، وسؤال شهود الإثبات والنفى، وإجراءات المحاكمة، وطرق تنفيذ الأحكام وتعتبر «الوصايا العشر» موجز القانون الأخلاقى لليهود، بينما تعتبر (العظة على الجبل) (مت ٥ – ٧)، (العهد الجديد) دستور المسيحية، كما تعتبر مخالفة أية وصية (إجراما فى الكل) (يع٢ : ١٠) لأن الخطيئة لا تتجزء إلى صغائر وكبائر[2].

٢-وكذلك صان النظام القضائى أحكام القضاء إذا اعتبرت أحكام القضاء كأنها صادرة من الله ذاته (تث ٦ : ١٦–١٨) وكذلك نجد عدم التدخل فى القضاء لصالح أحد، أو إرهاب

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص ص ٣٧–٣٨).

(٢) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص٩٩).

القضاء وبالتالى عدم خوفهم من سطوة الحكام والسلطات الإدارية أو التنفيذية، حتى يكون هناك استقلال تام للقضاء لضمان تحقيق العدالة، كما حددت التوراة شروط اختيار القضاة، ومنها العلم بالشريعة والاتصاف بالنزاهة والاستقامة والحكمة، وعدم قبول الرشاوى[1].

٣- ولقد وضعت أسفار العهد القديم أسس المعاملات المادية السمحة التى تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية، فمن ذلك ما شرعته بشأن القروض والرهون، إذ قررت أنه لا يصح لليهودى أن يقرض أخاه بفائدة، ولا أن يرهقه بالمطالبة، وأن ينظره إلى ميسرة، وألا يأخذ حجرى رحاه التى يطحن عليها قوته رهنا فى دينه ولا حجرها الأعلى، لأنه (بذلك يكون قد رهن حياة أخيه نفسها) وإذا أعطاه ملابسه رهنا وجب عليه أن يردها له قبل غروب الشمس فى اليوم نفسه (لأنه غطاه الذى يستر جسمه فإذا جرد منها تعرض للهلاك)[2].

٤- ولقد أكدت اليهودية على حماية حقوق العمال الضعفاء، ولذلك أوجبت على ملاك الأراضى والمصانع وأصحاب رؤوس الأموال أهمية الرعاية والرحمة والإحسان تجاه العمال والفقراء والأرقاء، بل وتجاه الدواب نفسها، فقدرت أنه لا يجوز العمل أكثر من ستة أيام فى الأسبوع، وفى اليوم السابع وهو يوم السبت يستريح جميع الناس وأيضا الدواب، وإنه يجب أن يدفع أجر العامل قبل أن تغرب شمس كل يوم، كما يجب أن يترك فى كل حصاد الحقول (الحبوب)، وفى كل ثمار الفواكه والخضار نصيب للفقراء والمساكين وابن السبيل، وهناك نصيب الله فى زكاة الأرض والأنعام، لسد حاجات المعوزين، كما يجب على الأغنياء فى الأعياد والمناسبات أن يقيموا الولائم ويقدموا الطعام لليتامى والمساكين والفقراء، وحتى بالنسبة للرق تقرر اليهودية أنه بعد ست سنوات من الرق يتحرر الرقيق، كما تدعوا اليهودية للحد من البذخ والترف والإسراف فى المآكل والمشارب والحياة بوجه عام[3].

٥- وبالنسبة للبيئة الطبيعية تدعو النصوص المقدسة إلى ضرورة مراعاة عدم تلويث البيئة الزراعية، وإلا هلك الزرع والضرع، وقد أمر الله الشعب بضرورة الاعتناء بزراعة

(١) (تث ١٦: ١٩، مز ٨٢: ٢-٣، أم ٢٤: ٢٣).
(٢) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٣٩).
(٣) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص٤١).

الأشـجار لفوائدها، ودعا الرب إسرائيل إلى مراعاة عدم إتلاف الأشجار أو قطعها إذا كانت مثمرة، حتى لو كانت فى أرض الأعداء ووقت الحروب[١].

كما سمحت الشريعة اليهودية لكل جائع يمر بالحقل أن يأكل حتى يشبع بلا مقابل، وهذا نوع من التكافل الاجتماعى فى البيئة الزراعية، وحفظ ماء الوجه بدون مد يد العون[٢] كما تؤكد الشـريعة اليهودية أن ثمار الأشـجار هى هبة من الله للبشر، وعليهم أن يتذكروا نعم الله عليهم فيقدموا العشـور والنذور، ليأكل منها الفقـراء والأرامل والغرباء، كما تدعو شـريعة اليهود بنى إسـرائيل إلى ضرورة أن يترك المالك مسـاحات محدودة على أطراف الحقـول والمحاصيل المزروعة، دون حصاد حتى يجمعهـا الفقراء، وأن الأراضى الزراعية بعد زراعتها سـت سنوات متعاقبة يجب أن تترك مساحات من كل حقل بدون زراعة فى العام السابع لحمايتها من الإهلاك[٣].

سابعا: العدالة البيئية فى المسيحية:

١ – هنـاك إشـارة إلى العدل فى ١٢٤ موضعا من الكتـاب المقدس، ودعا الرب إلى ضرورة التزام العدل بين الناس، حيث نجد فى سـفر عاموس النبى أن العدل بين الناس هو أحـد القيم الأساسـية للمجتمع، وأن الحقوق تتطلب تنفيـذ الواجبات، وأن الامتناع عن تنفيذها يستوجب العقاب[٤] وأن غياب العدل يؤدى إلى التفكك والفشل، ومن هنا يحـذر يوحنا المعمدان من الظلم ويقول (لا تظلمـوا أحدا ويأمر الله بالعدل بين الناس مسئولين وغير مسئولين ويربط الله العدل بالحق والرحمة)[٥].

٢- إن ثورة السـيد المسـيح – عليه السـلام – لم تكن مقصورة على الاحتكار الدينى الذى خص بنو إسـرائيل أنفسـهم به، ولكنهـا كانت أيضا ضد النظام الاقتصادى الشـره الذى نتج عنه التكالب المادى وانتشـار الربا[٦] ولقد جاء فى إنجيل مرقس عن السـيد المسـيح – عليه الصلاة والسـلام – (وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع لماذا تدعونى

(١) (تث، ٢ : ١٩–٢٠).
(٢) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص٢٥).
(٣) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص٢٥).
(٤) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ٩٢).
(٥) (العهد القديم).
(٦) (عبد العزيز عبد المجيد، ١٩٦٤م، ١٥٠).

صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحدا وهو الله. أنت تعرف الوصايا – لاتزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد الزور، لا تسلب، أكرم أباك وأمك – فأجب وقال له: يامعلم هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فنظر إليه يسوع وقال له: يعوزك شىء واحد، اذهب بع كل ما لك – وأعطه الفقراء. فيكون لك كنزا فى السماء، وتعالى اتبعنى – فمضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة، فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه: ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله، فتحير التلاميذ من كلامه فأجاب يسوع وقال لهم: يابنى ما أعسر المتكلين على الأموال الدخول إلى ملكوت الله، إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله[1].

٣- ونهى المسيح – عليه السلام – صراحة عن عبادة المال «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الأخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (متى : ٦ : ٢٤).

ويرى المؤلف أن عبادة المال تطغى على العدالة وللأسف عبادة المال اليوم أصبحت ظاهرة فى مجتمعنا لأن أى أستاذ أو معلم أو طبيب أو محامى يسعى وراء المال على حساب مبادئه ورضا الله سبحانه وتعالى فهو أغضب المولى فى سبيل المال وأخذه بغير حق.

٤ – ولقد حذر المسيح – عليه االسلام – من اكتناز الأموال واقتناء الذهب والفضة «ولا تكتنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، حيث ينقب السارقون ويسرقون» (متى : ٦ – ١٩) ومن وصايا المسيح – عليه السلام – إلى حوارية الإثنى عشر ما يأتى: (لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ولا مزودا للطريق. ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا لأن الفاعل مستحق طعامه) (متى)، كما ينهى أشعياء النبى صراحة عن حياة البذخ والطمع والجشع (١ش : العهد القديم) (وطالب بإنصاف الموظفين ورد حقوق الأرامل والأيتام والضعفاء)[2].

٥ – ودعا الرب إلى التزام العدل التام فى القضاء والمعاملات التجارية من بيع وشراء وخلافه (تث – العهد القديم) وحمل الله بشدة على الظالمين وتعتبر الشريعة المسيحية الظلم خطيئة مركبة وعقابها مضاعف ولذلك تكرر الحديث عن إنتشار الظالم فى العالم وفى كافة المجالات وقد فصله الكتاب المقدس فى ١٤٦ موضعا ويتنبأ الكتاب المقدس بأنه فى آخر الأيام سيأتى الرب يسوع ويقضى بالعدل[3].

(١) (محمود الشرقاوى، ١٩٦٦م، ص١٨).
(٢) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ٩٣).
(٣) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ٩٣).

٦ – أن الجهـاد الحقيقـى فى المسـيحية ضد شـهوات النفس، ورغبات الجسـد والظلم «مجاهديـن ضد الخطيئة (عب ١٢ : ٤)، وأن التكالب على جمع المال يؤدى لإصابة الإنسـان بالشـراهة والبعد عن الله ولذلك طلب الملك سليمان من الله قائلا «لا تعطينى فقرا ولا غنى وأعطنى خبزا فرضيتنى. لئلا أشبع ولئلا أفتقر وأسرق» (أم ٣٠ : ٨ – العهد القديم)، والعين لا تشـبع من النظر، والأذن لا تمتلئ من السـمع، وكل الأنهار تصب فى البحر، والبحر ليس بملأن، أى أن العين الشـهوانية الشـريرة لا تشـبع، ولا تمل، وهى التى تدنس القلب، ويقول المسيح – عليه السلام – «العين هى سراج الجسـد. فإذا كانت العين بسيطة فجسـدك كله يكون منير، فطوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون (مت ٥ : ٩).

٧ – وتدعـو المسـيحية إلى تحقيق التكافل الاجتماعى كوسـيلة لتحقيق العدالة من خلال وضع أسس التكافل الاجتماعى بالدعوة إلى إطعام الجائع وإرواء ظمأ العطشان، وإيواء الغريـب والضعيف وكسـاء العريـان وزيارة المرضى (مـت ٢٥ : ٣٥ – ٤٠) وتضيف المسـيحية إلى أن من يعطف على المسكين ماديا أو معنويا ومن يقدم لأحد المحتاجين قدم للمسـيح ذاته (مت ٥ : ٤٠)، وحملت المسـيحية بكل شـدة على كل الأغنياء الذين يرفضون القيام بخدمة المحتاجين (لأن من يسـتطيع أن يفعل حسـنا ولا يعمل فتلك خطيئة له) (يع ٤ : ١٧) ومن يسـد أذنيه عن صراخ المسـكين فهو أيضا يصرخ ولا يسـتجاب (أم – العهـد القديـم) وبنفس الكيل الذى به تكيلـون يكال لكم (مت ٧ : ١) وتطبيقا لهذه التعاليم، فقد سـارت الكنيسـة الأولى فى عصر الرسل على مبدأ الإشـتراكية فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية لأعضاء الكنيسـة باعتبار أن جميع المؤمنين أسـرة واحدة يتشـارك كل أعضائها فى العطايا والموارد المادية التى ترد إليها مـن الأغنياء والكنائس الغنية، ولذلك تدعو المسـيحية إلى الرحمة والمحبة عن طريق التعاون والتواد والتراحم والعرق والوفاء[1].

٨ – وبالنسـبة للبيئة الطبيعية تدعو المسـيحية إلى عدم التفريط فى الأرض بالبيع فى قصة نابـوت الزرعيلى والملك أخاب، وقال الوصـى «لا تنقل التخم (حدود الأرض) القديم الذى وضعه أباؤك (ام ٢٢ : ٢٨ – العهد القديم).

٩ – والمسـيح – عليه السـلام – هو صديق الطبيعة التى يرعاها ويوجهها ويسـتخدمها فـى تعاليمه وأعلامه، وكان يقضى معظم وقتـه فى أحضان الطبيعة «كان يصلى فى

(١) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص١٢٠).

الخــلاء» (لــو ٩ : ١٠)، وكان يفضل تقديم عظاته فى البيئة الســاحلية حول بحيرة طبرية، وكان الشعب يقف على الشاطئ. وكان المخلص يجلس فى قارب يرسو قرب الشاطئ (مت ١٥ : ٢٩).

وقــال الوحــى ذات مرة إنه قد انصرف مع تلاميذه إلى اتجــاه البحر وتبعه جمع كثير (مر ٣ : ٧) كما يســجل البشــير مرقص أن يسوع قد أخذ تلاميذه فى رحلة خلوية إلى شرق الأردن (مــر ١٠ : ١) وقضــى معهم وقتا ممتعا فى أحضــان تلك الطبيعة الرائعة (مت ١٩) والتى وصفها أقرب قديما بأنها كانت الجنة مصر (تك ١٣ : ١٠ – العهد القديم)[1].

ثامنا: العدالة البيئية فى الإسلام:

بداية يرى المؤلف أن العدالة البيئية فى الإسلام قد عرضها المؤلف تفصيلا فى الفصلين الأول والثانــى، وحاول إثبات ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وســيرة الخلفاء الراشــدين، وبعض الصحابة، ولذلك ســوف نحاول الآن إعطاء الملامح الأساسية مختصرة حتى لا يكون تكرارا مملا، وفى ضوء ما سبق يمكن إيجاز أهم ملامح وأبعاد العدالة البيئية فى الإسلام فى العناصر الآتية:

١ – إن قضيــة العدالــة البيئية من خلال المفهوم الشــامل لها تشــغل منزلــة الصدارة فى الإســلام، وقد تعددت الآيات والأحاديث التى تأمر بالعدل بمفهومه الشــامل للعدالة بين الأشــخاص والأجيــال فى مختلف الأبعــاد الاجتماعية والاقتصاديــة والطبيعية والتشــريعية والخدمية، كما هنــاك العديد من الآيات والأحاديــث التى تندد بالظلم وترى أن العدالة هى معيار الإيمان والحكم والحاكم الناجح والحياة المستقيمة، فالعدل هو اســم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته كما ربط الله ســبحانه وتعالى بين العدل والحق لأن الحق هو العدل مجردا، والعدل هو الحق مطلقا.

٢ – إن العدالة فى الإسلام حق يؤخذ وليست منحة أو إحسان، وذلك لأن المال هو مال الله والإنســان مســتخلف فيه بما لا يضر المجتمع، والحاكم مسئول عن إشباع الحاجات الأساسية للفقراء، وتأمين البلاد، ونفقات الجيش وذلك، من خلال مصادر شتى أهمها ما يأتى:

(أ) الزكاة بمختلف أنواعها والتى تصل إلى ٢٠٪ فى الركاز.

(١) (ميخائيل، ١٩٩٧م، ص ص ١٤–١٥).

(ب) الكفارات عن المعاصى أو الأخطاء وهى متنوعة مثل كفارات الحج، والقتل الخطأ وكفارة اليمين.

(ج) الأضحية سواء فى عيد الأضحى أو عند العقيقة وخلافه.

(د) الوصية فى حدود الثلث.

(هـ) الوقف الخيرى.

(و) الصدقات المستحبة.

وبعد ذلك على الحاكم إن لم يكفى ما سبق أن يأخذ ما يشأ من أموال الأغنياء لإشباع الحاجات الأساسية للفقراء وتمويل الجيش وتوفير الأمن.

٣ – البعد الاجتماعى للعدالة البيئية فى الإسلام واضح حيث يقر الإسلام مبدأ كراهية تركيز الثروة فى يد قلة من أفراد المجتمع، والزكاة وسيلة عملية لتحقيق ذلك، كما أن نظام الميراث يفتت الثروة بالإضافة إلى أن إشباع الحاجات الأساسية للفقراء فى الإسلام يتجاوز ذلك إلى مساعدة هؤلاء على الاستمتاع الحلال بمباهج الحياة، ومن ناحية أخرى هناك نهى واضح عن الإسراف والتبذير إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، والاستخلاف فى المال يعنى التصرف فيه بما لا يضر المجتمع، وإلا من حق المجتمع الحجر على من يسىء استخدام المال وهذا لا يتعارض مع الاعتراف بالفروق بين الأفراد وبأن الناس طبقات وأن المساواة فى إتاحة الفرص المتساوية، أمام الجميع فى التعليم والعلاج وخلافه، ثم لكل فرد بعد ذلك نصيبه من الاجتهاد والنجاح.

٤ – البعد الاقتصادى يبدأ بالزكاة إلى الكفارات والصدقات والوقف الخيرى وإباحة الضرائب التصاعدية على الأرباح والتركات، ووضع حد أدنى وحد أقصى إلى أن يصل إلى أنه لا ثروة لأحد عند المجاعة.

٥ – البعد الطبيعى، الإسلام ينظر للكون كله على أنه وحدة متفاعلة ومتناغمة، ويهتم بحقوق الإنسان والحيوان، وأهمية الحفاظ على البيئة بمواردها موصولة العطاء، لأبنائنا وأحفادنا، وأهمية العدالة بين الأفراد والأجيال، وذلك سواء فى الأراضى أو غيرها من الموارد الطبيعية لكل مكان ولكل زمان.

٦ – الخدمات الأساسية – مسئولية الدولة والحكام بداية من المسكن الملائم، إلى العمل، وتوفير فرصة الزواج، والدابة والخادم وغيرها من الخدمات الأساسية التى يجب

توافرهـا فى جميـع المناطق بنفس الجودة مع مراعاة العدالة فى نشـر هذه الخدمات وتسـعيرها، بحيث تتحمل الفئات الأيسـر دخلا الجانب الأكـبر من التكلفة لصالح الفئات الأقل دخلا.

٧ – المسـاواة التامـة فى كافة الحقـوق والواجبات بين جميع المواطنـين بدون تمييز لفئة أو جنس أو دين أو لأى سبب آخر.

٨ – فـى ختام هذا الجزء يمكن تلخيص أهم آراء الشـيخ الغـزالى فى مجال العدالة بوجه عام فى الآتى:

(أ) الاقتصاد الإسلامى يقوم على التوازن بين الحقوق والواجبات، والموازنة بين الملكية العامة والملكية الخاصة، بحيث لا يترك للأثرياء أن يطغوا ويعبثوا بأموال الأمة[١].

(ب) تأميـم المرافق العامة، وجعـل الأمة هى المالكة الأولى لمواردها، وإقصاء الشـركات المحتكرة لخيرات الأمة سواء كانت أجنبية أو وطنية.

(ج) تحديد الملكيات الزراعية الكبرى، وتكوين طبقة من صغار الزراع، وتحديد الملكيات غير الزراعية الكبرى، وفرض ضرائب على رؤوس الأموال الكبرى.

(د) استرداد الأملاك التى أخذها الأجانب وإعادتها إلى أبناء البلاد.

(هـ) تحريم تملك الأراضى المصرية على الأجنبى تحريما مؤبدا.

(و) ربط أجور العمال بأرباح المؤسسات التى يعملوا بها[٢].

(ز) وأخيرا على الدولة الإسلامية أن تحقق كل ما سبق، مهما كانت العوائق اقتصادية أو سياسـية، حتى لو لم يبقى لكل فرد من الشـعب إلا قوته الضرورى لما جاز أن تتراجع الدولـة عـن تنفيذ ذلك البرنامـج، ولذلك فمن حق الدولة أن تفرض ما تشـاء من ضرائب أو قيود من أجل حماية الشعب وكيان الأمة[٣].

ويلاحظ على أفكار الشـيخ الغزالى أنها كتبت ونشـرت أول مـرة عام ١٩٤٧م ثم أعاد نشـرها بعد مراجعتها مرة أخرى عام ٢٠٠٥م، بمقدمة جديدة للكتاب مما يعنى تمسـكه بهـا ورؤيتـه أنها مازالـت صالحة ومطلوبة الآن فـى العصر الحديث، بغـض النظر عن

(١) (الغزالى، ٢٠٠٥م، ص١٠).
(٢) (ص١٨٢).
(٣) (الغزالى، ٢٠٠٥م، ١٨٣).

الاتفاق أو الاختلاف حول بعض التفاصيل، ولكن الثابت والمؤكد مسئولية الدولة الإسلامية، والحاكم فى الدولة الإسلامية عن تحقيق العدالة البيئية، والعمل على تمكين الفقراء أو الضعفاء من الحصول على حقوقهم، مما يساعد بعد ذلك على رقى الأمة وتقدمها فهى ليست مجرد صدقة أو إحسان أو محبة.

❑❑❑